# المقدمة

درست فى هذا الكتاب مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الأول . وهو يتألف من خمسة فصول ؛ تحدثت فى أولها عن تعدّد الاتجاهات ، إذ رأيت الشعراء العباسيين يفتتحون جانبًا من قصائدهم بالمقدمات التقليدية التى كان لموقف اللغويين والنقاد المحافظين أثر كبير فى تمسكهم بها . غير أنهم لم يثبتوا كل عناصرها المتأصلة ، بل حذفوا منها العناصر التى لم تعد تتلاءم مع بيئتهم المتحضرة ، وحياتهم الناعمة ، كما رأيتهم يستهلون جانبًا آخر من مطوّلاتهم بمقدمتين جديدتين هما المقدمة الخمرية ، ومقدمة وصف الربيع .

أما الفصل الثانى فتكلمت فيه على مقدمات بشار ، وذهبت إلى أن ما بقى من ديوانه لا يدل على أنه أكثر من افتتاح مدائحه بمقدمات جديدة ، وإنما دأب على افتتاحها بالمقدمات القديمة ، مع تعديله فيها ، وإضافته بعض المعانى والصور المبتكرة إليها ، ومع وصفه لرحلته النهرية إلى الممدوح ، غير أنه صدّر بعض قصائده بالمقدمة الخمرية ، وبمقدمة الحكمة .

وأما الفصل الثالث فوقفت فيه عند مقدمات أبى نواس ، وعرضت لثورته على وصف الأطلال ، وصح عندى أن ثورته لم تتأثر بالشعوبية ، وإنما كانت منبثقة من الحياة العباسية المترفة . ومما قوّى هذا الرأى عندى أنه لم يهاجم وصف الأطلال وحده ، بل شركه فى ذلك شعراء عباسيون كثيرون . ومع ذلك فقد صوّر الأطلال فى فواتح قصائده الرسمية ، كما استهل مدائح أخرى بالمقدمة الغزلية ، ومقدمة الشباب والشيب . ولكنه ينفرد بأنه افتتح كثيراً من مدائحه بوصف الخمر ، أو بوصف الحرّاقات ، أو بالحنين إلى الوطن .

وأما الفصل الرابع فقصرته على مقدمات مسلم بن الوليد . واتضح لى أن مقدماته تتوزّعها اتجاهان : اتجاه قديم ، واتجاه جديد . فقد افتتح بعض مدائحه بالمقدمات الموروثة التى لم يتمسك فيها بالتقاليد المألوفة المعروفة ، بل قرن

محافظته عليها بحذفه منها ، وتطويره فيها ، وزيادته عليها ، حتى لقد ضمّنها آراءه فى الحياة ، وذكرياته الماضية ، وإذا هو يثبت فى أغلبها تصويره لمجالس الخمر واللهو والغناء ، وإذا هو يستغنى عن وصف الرحلة فى الصحراء ، ويحل محلّه وصف الرحلة فى النهر ، كما فعل بشار . ولا يمثل الاتجاه الثانى إلا المقدمة الخمرية ، التى قدّم بها لمدائحه فى الأشخاص العاديين ، وفى كبار رجال الدولة كهارون الرشيد .

وعرضت فى الفصل الخامس لمقدمات أبى تمام الذى نزع منزعًا فريداً فى افتتاحات مدائحه ، إذ وصف فيها مظاهر الطبيعة من ربيع وسحب وبرق وأطيار ، مع إشاعته فيها الأفكار الدقيقة والصور الأنيقة . ولم يقف تجديده عند ابتداع المقدمات ، فقد بعث الحياة فى مقدمة الفروسية ، مع تحويره فى مضمونها ، وتصويره لاعتداده بنفسه ، ولآماله البعيدة فيها . أما المقدمة الطللية والمقدمة الغزلية ، ومقدمة الشباب والشيب ، ومقدمة وصف الظعن فبثّ فيها المعانى الطريفة ، والصور اللطيفة .

ولم يُعْنَ النقاد العرب على اختلاف مذاهبهم بالمقدمات كاملة ، بل عنوا بالمطالع ، أى بالأبيات الأولى من القصائد ، وذهبوا جميعًا إلى أن المطلع لا يقصد منه الشاعر إلاّ إلى جذب انتباه السامعين ، وإعدادهم للإصغاء إلى موضوع قصيدته الأساسى . واستقام لى أن المقدمة تقليد فنى تعارف الشعراء عليه منذ الجاهلية ، وألفه الناس من ممدوحين وغير ممدوحين ، كما تشبث به النقاد ، وحثوا الشعراء على الالتزام به ، بحيث لم يعد أمامهم إلا أن يحرصوا عليه ويتمسكوا به فى أوائل قصائدهم .

وأرجو أن أكون وفقت فى دراسة مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الأول ، وفى الكشف عن أشكالها الموروثة والحديثة ، وتبيان مضامينها وتفسيرها وتعليلها .

حسين عطوان